الفصل الأول
تعليم اللغة العربية للأجانب
[رؤية تاريخية]

يتناول هذا الفصل الأمور الآتية :-

١- أهمية تعليم اللغات الأجنبية .

٢- أهمية تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية .

٣- تعليم اللغة العربية للأجانب .

أولاً : أهمية تعليم اللغات الأجنبية :

التواصل اللغوى أساس كل تقدم إنسانى ، وهو صفة أساسية لأى تجمع بشرى . فالإنسان يجب أن يشارك جاره خبراته وأفكاره ، وهو أيضاً يجب أن يكون لديه شئ ما يشترك به مع هذا الجار ، وهو أخيراً يجب أن يتصل به ، وضعف الاتصال أو تخلفه يقف وراء معظم الشرور والكوارث التى يعانى منها العالم ، فعدم القدرة على فهم ما فى عقل الجار ، وغياب الأساس المشترك للفهم هو السبب فى الصراع معه بدلاً من الفهم المتبادل . (١٠-٦)

ولقد أعطى الإنسان فى العصر الحديث كثيراً من الفكر والجهد لمشكلة الاتصال مما أدى إلى نمو وسائل الاتصال كالصحافة والإذاعة والتليفزيون نمواً كبيراً ، ومع ذلك فمازال لا يتصل مع أخيه الإنسان بالكفاءة والفعالية المطلوبين والسبب الرئيسى لذلك هو - بالطبع - الاختلاف فى اللغة . فهناك حوالى ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) لغة ولهجة رئيسية فى العالم ، وهناك عدد لا يحصى من اللهجات غير الرئيسية التى تعوق - فى كثير من الأحيان - الفهم المتبادل والاتصال حتى بين أعضاء نفس القرية ، يحدث ذلك فى أفريقيا ، وفى آسيا أيضاً . (١٠-٦)

لقد اختصر علم القرن العشرين بعدى الزمان والمكان ، فكل إنسان الآن يجلس على عتبة الآخر لكن حواجز تبادل الأفكار ما تزال باقية . لقد نجح

العلم فقط فى تقوية الاتصال الطبيعى ، لكن قد تجلس حول مائدة واحدة مع أناس لهم لغاتهم الخاصة التى لا نستخدمها ، وعلى هذا . فالاتصال غير قائم سواء من الناحية اللغوية أم من الناحية الروحية . إن الاتصال مع هؤلاء سيوجد فقط حين نقيم أسساً ثابتة وحين نفهم ما يفكرون فيه ، وكيف يفكرون ، ولماذا يفكرون ، ما لم نفعل ذلك ، فلن نكون أعضاء فى نفس الجماعة التى نجلس معها .

يجب أن نسأل أنفسنا ، كيف يمكن أن تسهم دراسة اللغات الحية إسهاماً جيداً فى حل مشكلات الاتصال العالمى ، ونسأل أيضاً عن الدور الذى يجب أن تلعبه دراسة اللغات الحديثة فى أى برنامج تعليمى .

لقد أعطيت عدة إجابات لهذه الأسئلة ، وسوف نختار قليلاً منها ، وهى تلك الإجابات التى تواترت بكثرة فى الكتب والمقالات التى تناولت هذا الجانب من تعليم اللغات الأجنبية . ونبادر فنقول : فى عالم يتضاءل حجمه مع كل تقدم تكنولوجى ، وفى عالم يزداد تأثيره على الأفراد من خلال الاتصال المتزايد بين الناس ، فى مثل هذا العالم ، تصبح دراسة اللغات الأجنبية أمراً حيوياً لتنمية الاتجاهات والمهارات اللازمة للوفاء بحاجات النفس Self Fulfillment, ومثل هذه الدراسة لا تنمى – فقط – الكفاءة فى اللغة الأجنبية ، بل توسع أيضاً فهم الفرد للغة القومية ، وهى أيضاً تغنى الوعى بالمبادئ اللغوية عموماً ، كما أنها تمد الفرد بخلفية للمعرفة الثقافية التى سوف تخدمه جيداً فى عمله ، وفى استغلاله لوقت الفراغ ، وفى دوره كمواطن . إن الاشتراك الفعال مع الجماعات المحلية ، والقومية والعالمية يقوى ويشتد بمعرفة لغة وثقافة الشعوب الأخرى .

ومن المهم على هذا أن يتاح لكل طالب فرصة دراسة اللغات الأجنبية ، وألا يقتصر الأمر على الصفوة أو على علية القوم – فكرياً أو مادياً – إذ أن لكل فرد دوراً يلعبه خلال التفاعل الاجتماعى سواء فى ميدان التجارة أو الجيش ، أو فى الحياة السياسية .

لقد حددت جماعة القبول للجامعات الأمريكية (٤٧–١٠٧) أهداف تعليم اللغات الأجنبية كما يلى :–

١ – اكتساب أداة أو مهارة لها فائدتها العظيمة – من الناحية العملية – ولها قيمتها فى كفاءة الفرد فى تأدية المطالب المنوطة به .

٢ – التكيف الاجتماعى ، وإعداد الفرد ليصبح عضواً فى جماعة صغيرة أو كبيرة .

٣ – التنمية الثقافية أو الانسانية وإثراء روح الفرد ، والبعث الكامل لإمكاناته ككائن بشرى إن دراسة اللغات الأجنبية ، مثلها مثل الدراسات الأخرى الأساسية فى المنهج تشبع أو تفى بكل هذه الأهداف . وفى الدراسة الجيدة للغة الأجنبية يبحث الفرد أولا عن السيطرة على استخدام اللغة كأداة لكل أنواع الاتصال ، ويبحث الفرد ثانياً عن توسيع أفقه الاجتماعى ليشمل الجماعة الإنسانية كلها ، فهو يتعلم التفكير بمصطلحات عالمية ، أو بلغة عالمية International Terms ، وهو ثالثا يحاول إغناء خبراته بالأنماط الثقافية والفكرية الجديدة والمتنوعة . وفى الحقيقة ، هذه الأهداف جميعاً متصلة ومترابطة ، وهى فى الواقع الهدف الوحيد من تعليم وتعلم اللغات الأجنبية . (٩-٤٧)

أما ماركوروت Marckurot (٧٤ – ٢٠) فقد تناول أهداف تعليم اللغات الأجنبية من وجهة نظر تاريخية ، حين كتب يقول :

أهداف تعليم اللغات الأجنبية كانت دائماً موضع مناقشة مستمرة فى الحلقات التربوية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الخمسين سنة الماضية . وهنا تبرز أسئلة كثيرة .

ما الأنشطة اللغوية التى نحاول أن ننميها ؟ هل نوجه معظم انتباهنا إلى القراءة ، أو الكتابة أو الحديث أو الاستماع ؟

ولا مناص من أن الأهداف المختلفة سوف تؤدى إلى المواد التعليمية المختلفة، وإلى الإجراءات المختلفة ، وتبرز مشكلات مختلفة .

والدوافع الأساسية التى تدفع Impelling فرداً ما لتعلم لغة جيرانه خمسة دوافع ، ثلاثة منها ذات طابع عملى ، والدافعان الآخران ليسا نفعيين – إلى حد كبير – وسوف نتناول فيما يلى الأخيرين أولا :

١ – الدافع الأول : يمكن أن يبدأ مع المسلمة القديمة والواسعة الانتشار أن تعلم أى لغة أجنبية نوع من تكوين الرجل المتحضر والمثقف . وعلى

أية حال، فإنه ينبغى ألا ننسى أن بناء تعليم اللغة الأجنبية – من خلال نظام تعليمى – استجابة لمثل هذا الدافع الخاص يتطلب غالباً أن يكرس الجهد فى هذا النظام لتنمية ما يمكن أن يسمى بالأرستقراطية الفكرية .

٢– **والدافع الثانى** يظهر حينما توجد هذه اللغات الأجنبية متجاورة مع اللغة القومية ، أو مع اللغة الرسمية . ففى الولايات المتحدة مثلاً توجد مستعمرات كبيرة للألمان والاسكندنافيين ، والإيطاليين ، وبعض الجماعات الأخرى الأصغر . ولكى نحفظ وحدة المجتمع ، علينا أن نعمل على وحدة اللغة، ولكن – فى نفس الوقت – هناك أهمية كبرى وقيمة ثقافية لتعلم هذه اللغات القومية فى توحيد المجتمع . وعلى هذا ينبغى أن ننمى دوافع دراسة اللغات الأجنبية جنبا إلى جنب مع اللغة القومية .

٣– ونعود الآن إلى بعض الاعتبارات المباشرة والعملية ، فى تعلم اللغات الأجنبية، فنقول : الدافع الثالث لتعلم اللغات الأجنبية يوجد فى ضرورة خلق وحدة عملية ، أو وحدة اجتماعية متجانسة . ويحدث هذا عادة نتيجة للغزو ، ولو أنه ليس شائعا الآن .

وفى العادة ، فأهداف تعليم اللغة فى هذا النمط من الدافع تكون محدودة وتتركز أساساً فى إعطاء الفرد نوعاً من الأداة العملية التى تشبع معظم حاجاته الأولية فى الاتصال .

٤– وتحتل التجارة الدافع الرابع لتعلم اللغة الأجنبية ، لأنك إذا أردت أن تعقد صفقات أفضل مع أناس آخرين فعليك أن تستخدم لغتهم .

٥– وتمثل الحاجة العلمية والفنية الدافع الأخير لدراسة اللغات الأجنبية . وليس هناك أدنى شك فى أن التقدم العلمى يعتمد – ضمن ما يعتمد – على القراءة فى اللغات الأخرى . وهناك بعض الدول المتقدمة علمياً ، وتكنولوجيا . كذلك يحتاج العلماء والفنيون – باستمرار – إلى الإطلاع على ما يفكر فيه الآخرون وعلى ما يكتبون ، وأولئك العلماء يفيدون أكثر حينما يقرءون الانتاج العلمى باللغة التى كتب بها .

هذه الدوافع الخمسة التى ذكرت هنا يمكن ألا تكون شاملة ، أو جامعة لكل الدوافع ، لكنها – على أية حال – تكون الأسباب الرئيسية لتعلمنا اللغات الأخرى . وأكثر من هذا علينا أن نعرف أن هذه الدوافع المختلفة تجعل من

الصعب أن نقترح نمطاً واحداً ، أو أسلوباً معيناً للتعلم ،وبأسلوب آخر ، ليست هناك مجموعة واحدة من الأهداف فى أى برنامج تعليمى يمكن أن تناسب جميع هذه الدوافع المختلفة . (٣٥-١١٦)

ولأن دراسة اللغات الأجنبية مسألة حيوية جداً أوصى كثير من التربويين بأن يكون لكل طفل فى مستوى المدرسة الابتدائية خبرة بتعلم لغة أجنبية ، ويستثنى من أطفال المدرسة الابتدائية – فقط – هؤلاء الأطفال الذين لديهم عيوب سمعية أو عقلية ، وتشير البحوث المتعلقة بالنواحى العصبية والعضوية ، والمتعلقة بالنواحى النفسية إلى أن الطفل كلما كان أصغر يكون أقدر على تعلم أشكال معينة للغة . فالطفل الصغير جداً لديه مرونة أكثر فى المخ ، وطواعيه أكثر فى أعضاء النطق ، ولديه شغف عقلى نحو اللغة ، وأيضاً هو خلو من المعوقات . أما فى مستوى المدرسة الثانوية فينبغى أن يكون هناك برامج متتالية لتعليم اللغات الأجنبية كجزء متكامل من جميع المناهج ، حيث إن دراسة اللغات الأجنبية لها دور تلعبه فى حياة كل فرد ، بصرف النظر عن طموحه فى عمله . كذلك ينبغى أن تكون هناك فرصة للسيطرة على لغة أجنبية لكل الطلبة فى المستوى الجامعى ، من حيث إن القدرة على استخدام لغة أجنبية أمر ضرورى ومكون أساسى للإنسان المتعلم فى عالم اليوم .

فى الصفحات السابقة ناقشنا بعض وجهات النظر فيما يختص بتعلم اللغات الأجنبية وتبين لنا أن جميع هذه الآراء تؤكد أهمية تعليم اللغات الأجنبية في المستويات التعليمية المختلفة .

ثانيا : أهمية تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية :

تعتبر اللغة العربية بتراثها الأدبى الضخم إحدى اللغات العظيمة فى العالم. فمنذ العصور الوسطى تمتعت هذه اللغة بالعالمية Universality التى جعلتها إحدى لغات العالم العظيمة ، مثل اليونانية ، واللاتينية ،والإنجليزية ، والفرنسية ، والأسبانية ، والروسية . وهذا الوضع بالنسبة للعربية لا يعكس – فقط – عدد المتكلمين بها بل يعكس أيضاً المكانة التى احتلتها فى التاريخ ، والدور المهم الذى لعبته – وما تزال تلعبه – فى تنمية المجتمعات العربية والإسلامية .

لقد وقد ذكر العالم اللغوى العظيم (فيرجسون (٣٧-٢) أن اللغة

العربية) بالنسبة إلى عدد المتكلمين بها ، وبالنسبة إلى مدى تأثيرها تعتبر أعظم اللغات السامية اليوم وينبغى أن تعتبر كواحدة من اللغات المهمة فى العالم .

والعربية اليوم واحدة من اللغات التى تكتب بها وثائق الأمم المتحدة، وأيضاً تتعلم العربية الآن فى أماكن كثيرة فى العالم ، وبخاصة فى الولايات المتحدة .

يتكلم العربية اليوم أكثر من ٣٤٠ تقريبا مليون نسمة تمتد أراضيهم ما بين آسيا وشمال أفريقيا ، أى من الخليج العربى إلى المحيط الأطلنطى . تتكلم العربية فى الجزيرة العربية ، والأردن ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، ومصر ، والسودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، وموريتانيا ، وغرب أفريقيا ، والصحراء الشمالية . وبالإضافة إلى هذه المنطقة المتصلة جغرافياً ، توجد بعض الجيوب المنعزلة التى يتحدث أهلها بالعربية . ففى أفريقيا مثلاً ، نجد جيبوتى ، وزنزبار وفى أوربا نجد مالطا ، وصقلية حتى القرن الثامن عشر ، وأسبانيا حتى القرن الخامس عشر . كذلك ينبغى أن تلتفت إلى المهاجرين السوريين واللبنانيين فى أمريكا الشمالية والجنوبية ، وفى غرب أفريقيا ، هؤلاء الذين يتحدثون العربية ويعملون على نشرها . (٣٧-٣)

وليس هناك أدنى شك فى أن حياة اللغة العربية عبر العصور تعود أساساً إلى الإسلام وحيويته ، ومع ذلك فهناك صفات خاصة باللغة العربية ساعدت على بقائها وانتقالها من جيل إلى آخر . فاللغة العربية لغة قومية صارمة Trenchantوقد توارثت حيويتها من الأيام الخشنة فى الصحراء ، والتى مكنتها من أن تقف فى وجه الأزمات والصعوبات .

ولأن العربية لغة القرآن ، فإنها ارتبطت بالإسلام ارتباطاً كبيراً ، فهى اللغة الدينية لجميع المسلمين فى جميع أنحاء العالم سواء كانوا يتكلمون العربية أو لا يتكلمونها فهم ، أى المسلمون ، يتلون القرآن في أصله العربى ، وليست هناك ترجمة فى أية لغة يمكن أن تستخدم بديلاً عن الأصل العربى . كذلك فالصلوات الخمس التى ينبغى على كل مسلم أن يؤديها تقام بالعربية ، ومثل هذا يقال عن بقية شعائر الإيمان والعبادات ، والدعوات التى نجدها دائماً على لسان كل مؤمن ، ليكن هذا المؤمن فارسياً ، أو تركياً ، أو هندياً ، أو أفغانيا ، أو ملاويا ، فكل مسلم ينبغى أن تكون لديه ألفة ما وتحصيل بقدر ما للغة العربية ، ولا شئ يرفع الفرد فى أعين معارفه وأصدقائه مثل معرفته الكثيرة باللغة المقدسة،

لغة الإسلام : العربية وحتى المؤذن الذى يعلن الصلاة من على المآذن داعيا المصلين إلى العبادة ، يستخدم العربية الفصحى سواء كان بالقاهرة ، أم استانبول، أم غيرهما .

وبالإضافة إلى هذا يمكن أن نقول إنه منذ القرن السابع الميلادى وجدت رغبة فى تعلم العربية ، ليس – فقط – من جانب العرب ، بل أيضاً من جانب غير العرب الذين يعتقدون فى الدين الجديد . وعلى هذا ، كان الدين الإسلامى هو العامل الأكثر أهمية والذى دفع كثيراً من الناس إلى تعلم العربية ، وما يزال يدفع كثيراً منهم إلى ذلك لينهجوا نهج من سبقهم . لقد كانت هناك رغبة ملحة لقراءة القرآن الكريم ، ولمعرفة التراث الإسلامى ، والصلاة ، وفى ذلك الوقت (القرن السابع الميلادى) كانت الجزيرة العربية أيضاً مركز النشاط الدينى الذى جذب كثيراً من الأجانب والدارسين إلى هذه المنطقة . وعلى أية حال ، فإنه توجد الآن عدة أسباب حقيقية وراء ازدياد الصلات بين المنطقة العربية والعالم الخارجى . هذه الأسباب يمكن أن تكون اقتصادية ، أو سياسية أو ثقافية، أو دينية أو اجتماعية ، ومن هنا صارت دراسة اللغة العربية واجبا لكل فرد يريد أن يستمر فى اتصاله وتعامله مع العالم العربى .

وإذا أردنا أن نتبين هؤلاء الذين يرغبون فى تعلم اللغة العربية ، وجدنا ما يلى :

١– المسلمون غير العرب الذين يرغبون فى دراسة الإسلام فى مصادره الأصلية وفى قراءة القرآن الكريم .

٢– المبعوثون الذين يرغبون فى الدراسة فى المدارس العربية ، والمعاهد والجامعات بجامعة الأزهر .

٣– الأجانب الذين يرغبون فى الاتصال بالعرب فى الشئون الاقتصادية ، والسياسية والثقافية وغيرها .

٤– العلماء الأجانب الذين يودون أن يقرءوا عن العلوم العربية والثقافة . ومما لا شك فيه أنه من الأفضل بالنسبة لهؤلاء العلماء أن يقرءوا المعرفة العربية فى لغتها الأصلية . (٢٠–٤١ ، ٤٢)

لقد اعتبرت الأمم المتحدة فى الدورة الثامنة والعشرين اللغة العربية إحدى لغات ست تستخدم كلغات رسمية ولغات عمل . إذ ينص القرار رقم ٢٨

على إدخال اللغة العربية بين اللغات الرسمية ، ولغات العمل التى تستخدم فى الجمعية العامة وفروعها الرئيسية . (٧٧-١٤٩)

وهناك عدة اعتبارات وراء قرار الجمعية العامة فى هذا الصدد . هذه الاعتبارات هى :

١- تحققت الأمم المتحدة من الدور المهم للغة العربية فى حفظ ونشر الحضارة الإنسانية والثقافة العالمية .

٢- وتحقق لها أيضاً من أن اللغة العربية هى لغة ١٩ عضوا من أعضاء الأمم المتحدة ، وهى أيضاً لغة عمل فى المنظمات المتخصصة ، كمنظمة "اليونسكو" ومنظمة الأغذية والزراعة ، ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة العمل الدولية ، هذا علاوة على أن اللغة العربية لغة عمل ، ولغة رسمية فى منظمة الوحدة الأفريقية .

كذلك كانت الجمعية العامة واعية بالحاجة إلى تحصيل تعاون دولى أعظم، وإلى ترقية الانسجام والوئام بين الأمم ، كما نص على ذلك ميثاق الأمم المتحدة .

وعلى هذا ، كان لابد أن تدخل اللغة العربية بين اللغات الرسمية ولغات العمل للجمعية العامة ، وفروعها الرئيسية ، وكان لابد أيضاً من أن تعدل طبقاً لذلك بعض القواعد الإجرائية فى الجمعية العامة . ومن هنا أصبحت اللغات الرسمية ولغات العمل فى الأمم المتحدة هى :

الصينية ، والانجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والأسبانية ، والعربية . (٧٧-٣٥٩) .

ثالثاً : تعليم اللغة العربية للأجانب :

من الناحية التاريخية ، يعود الاهتمام بتعليم العربية إلى القرن السابع عشر الميلادى ، وذلك حينما دخلت اللغة العربية إلى جامعة كمبردج ، وفى ذلك الوقت كانت الناحية الدينية والاقتصادية هما الهدفان الأولان . وفى خطاب إلى توماس آدمز الذى أسهم كثيراً فى إدخال العربية إلى كمبردج ، لقد كتب نائب الرئيس إلى آدمز فى ٩ مايو ١٦٣٦ يقول " هذا العمل الذى قمنا به (إدخال العربية فى جامعة كمبردج) ليس الهدف منه - فقط - خلق أدب جيد ، بإلقاء الضوء على أدب تلك اللغة (العربية) ، بل الهدف أيضاً هو الخدمة الجيدة للملك وللدولة من الناحية الاقتصادية التى ينتظر أن تروج مع هذه الأمم

الشرقية، هذا علاوة على الخدمة الطيبة للإله ، وذلك بتوسيع حدود الكنيسة ، والدعاية للدين المسيحى بين هؤلاء الذين يعيشون الآن فى الظلام . (٥٧ : ٢)

وهذان الهدفان (الدينى والتجارى) ، اللذان كانا وراء تعليم العربية فى انجلترا خلال القرن السابع عشر ظلا سائدين فى الأوساط التعليمية إلى منتصف القرن العشرين فى كل من انجلترا وأمريكا ، وربما مع خلاف واحد ، وهو أن التأكيد اليوم على الجانب التجارى Commercial أكثر منه على الجانب الدينى والثقافى .

وفى عام ١٩٤٧ أشار تقرير بريطانى إلى ما يلى : أن تأثير بريطانيا السياسى ، وموقعها التجارى فى القارة الأسيوية والأفريقية سوف يعتمد على قدرتها على إقامة علاقات مقبولة لدى شعوب هاتين القارتين . (٥٧ : ٢)

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فإن الاهتمام بتعليم اللغة العربية حديث نسبياً . فالمحاولة الأولى الجادة لإيجاد برنامج كامل لتعليم العربية قد بدأت فى عام ١٩٤٧ حينما أدخلت العربية فى مدرسة اللغات التابعة للجيش الأمريكى . ومنذ ذلك الوقت ، هناك اهتمام متزايد باللغة العربية أيضا ، وهناك دلائل على أن الدراسات العربية قد أخذت جانباً كبيراً من الاهتمام ، ونظر إليها على أنها حقل مهم فى الدراسات الإنسانية ينبغى أن تهتم به مؤسسات التعليم الأمريكية. (٥٧ : ٧)

وكحقيقة مهمة ، تعلم اللغة العربية الآن فى أماكن كثيرة بالولايات المتحدة الأمريكية . ويكفى أن نستشهد بما ذكرته جماعة القبول بالجامعات ، «لقد حدث تقدم كبير فى الجامعات فى الخمس سنين الأخيرة تحت ما يسمى بقرار لجنة التربية والدفاع القومى» .

لقد أحرز «مكتب التربية» تقدماً كبيراً فى ست لغات نظر إليها على أنها تمثل «قمة الأفضلية» بالنسبة للغات العالم ، هذه اللغات التى قدمت إلى التعليم الأمريكى هى : العربية ، والصينية ، والهندية ، واليابانية ، والبرتغالية ، والروسية . ولقد ازداد الإقبال على تعلم هذه اللغات فى الأيام الأخيرة زيادة ملحوظة . (٤٧ : ٨)

ولقد أشار ارفنج Irving إلى أهمية اللغة العربية بقوله : « نحن نرى أن

العربية لغة حية ، وينبغى أن ينمو الاهتمام بها خلال العقود القليلة القادمة » ، ولقد أعلن " مكتب التربية " فى واشنطن أن اللغة العربية لغة استراتيجية ، ولهذا ساعد فى إقامة عدة مراكز لتعليمها . وعلى أقسامنا بالكليات ، وعلى معاملنا أن تكون مستعدة لإدخال اللغة العربية بصورة أوسع كلغة أجنبية حديثة. (٦٧ : ٣١٨)

لقد وجد المؤلفان أن هناك حوالى ٣٦ مركزاً لتعليم اللغة العربية فى الولايات المتحدة ، وخمسة مراكز لها فى مصر .

● **ولتلخيص أهمية تعليم اللغة العربية نقول :**

إن التعاون بين العالم الذى يتحدث الإنجليزية أو بغيرها من اللغات والعالم العربى – إذا كان لابد له من الاستمرار – ينبغى أن يقام على فهم الثقافة المعبر عنها باللغة – ومثل هذا التعامل ممكن ومفيد ، وتعضده دلائل التاريخ " ففى العصور الوسطى أثر العلماء العرب على الفكر الغربى تأثيراً عظيماً ، وذلك بتفسير الفكر اليونانى ، ونقل أفكار الإسلام والتزويد بها .

واليوم ، ربما لا يكون العرب متقدمين علمياً أو تكنولوجياً مثل الغرب ، لكنهم يحاولون جاهدين أخذ مكانهم فى هذا العالم ، ونظرة بسيطة إلى خريطة العالم تظهر لنا بوضوح أن العرب يقيمون على الأرض التى تصل بين ثلاث قارات آسيا، وأوربا ، وأفريقيا ، وهذا الموقع فريد من نواح كثيرة . ومن الناحية الثقافية ، يلعب العالم العربى دوراً مهماً فى الربط بين شعوب الغرب من ناحية ، وهذه الأمم الناهضة فى آسيا وأفريقيا من ناحية أخرى . ومن الناحية التاريخية ، فإن منطقة الشرق الأوسط كانت مهد الديانات السماوية الثلاث العظمى،كذلك كانت مهد الحضارات الأساسية القديمة . ومن الناحية الاقتصادية يعد العالم العربى أغنى مصادر البترول والطاقة فى العالم بالنسبة للغرب – بصفة عامة – كذلك هناك عدة عوامل أخرى تبرز الحاجة إلى تعليم اللغة العربية ، من هذه العوامل :

١– أن اللغة العربية تعتبر الآن إحدى اللغات الست العظمى فى العالم ، كما أنها هى اللغة الأولى فى أفريقيا .

٢– كذلك فإن هناك أهمية متزايدة للأمة العربية ، وأهمية متزايدة للغة العربية بالنسبة لأبنائها أنفسهم ، وذلك منذ ظهر ما يسمى « بالقومية العربية » .

وعلى الرغم من أن الاهتمام باللغات الأجنبية فى الأمة العربية كان عظيماً ، إلا أن اهتماماً أكثر يدفع الآن للغة القومية . فهناك محاولة لاستخدام العربية كوسيلة للتاليف والتعليم بالنسبة للمواد الطبية والهندسية ، والعلمية البحتة فى الجامعات العربية ، حيث تستخدم بشكل واسع المصطلحات الأجنبية . (٦٧ : ٥).

على الرغم من هذه الحاجة المتزايدة لتعليم اللغة العربية بالنسبة للعرب وللأجانب فإن هذه اللغة لما تدرس دراسة علمية دقيقة تتناول منهجها ، وأهداف تعليمها ، ومحتواها ، ووسائل التقويم لها ، كذلك ليست هناك وسائل حديثة لتعليمها سواء فى العالم العربى أو فى العالم الخارجى وكل ما بذل من مجهود فى تقديم هذه اللغة للأجانب إنما يتركز أساسا فى مجموعة كتب مدرسية تعتمد فى محتواها وأهدافها على أذواق المؤلفين وآرائهم الشخصية بصرف النظر عن قرب أو بعد هذه الآراء من الاتجاهات العلمية الحديثة فى تعليم اللغات للأجانب . وكانت النتيجة هو النقص الشديد المتمثل عدم وجود البرنامج المتكامل لتعليم هذه اللغة ، القائم على الأسس العلمية فى التعلم ، وفى تحديد الأهداف التعليمية . ونعتقد أنه إذا ما روعيت الأسس العلمية فى بناء منهج تعليم اللغة العربية للأجانب فإن جزءاً كبيراً من الخلط فى تعليمها ، وجزءاً كبيراً من الصعوبة فى تعلمها سوف يقلان – إلى درجة كبيرة .

ويمكن أن نستدل على ما قدمنا بأنه توجد فى مصر خمسة مراكز لتعليم اللغة العربية ، وكل مجهوداتها تتركز حول عملية التعليم ، وهى فى الغالب عملية شخصية ، بل إن طريقة التدريس – بصفة عامة – هى الطريقة التقليدية ، التى سمتها Wilga Rivers طريقة القواعد – والترجمة . (٨٢ : ١٤)

وهناك فقط – سلسلتان من الكتب المستخدمة فى هذا المجال ، هاتان السلسلتان هما :

العربية بالراديو فى عشرة أجزاء Arabic by Radio

تعلم العربية فى جزئين Learn Arabic

ويوجد – فقط – كتاب واحد يعالج مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب وماعدا هذا الكتاب لا يوجد ما يعالج هذه المشكلة الخطيرة : هذا على

الرغم من أن هذا الكتاب يعالج المشكلة بطريقة نظرية بحتة ، لا يمكن الاعتماد على كثير مما جاء فيه لافتقاره إلى الأسانيد العلمية .

وفى عام ١٩٧٤ أنشئ مركز الخرطوم لإعداد متخصصين فى اللغة العربية لغير الناطقين بها " لكن لحداثته لم يقدم شيئاً ذا بال فى مجال تطوير تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

والمجهودات المبذولة لتعليم اللغة العربية وبصفة خاصة فى الولايات المتحدة وانجلترا تؤكد على :

١- تعليم العامية العربية بصفة عامة .

٢- مقارنة بعض جوانب اللغة العربية ببعض الجوانب المتماثلة فى اللغة الانجليزية .

وعلى الرغم من أنه توجد كتب فى هذين البلدين (أمريكا وانجلترا) لتعليم الفصحى ، إلا أن هذه الكتب لم تبن على أسس علمية ، فهى - مثلا - تركز على القواعد ، ولم تفد كثيراً من مبادئ تعليم اللغات للأجانب كما حدث فى الإنجليزية ، أو الفرنسية - على سبيل المثال - وكنتيجة لهذا ، فإن كثيراً من الطلبة الذين يدرسون العربية يشيرون إليها على أنها لغة صعبة التعلم .

وفى الفقرات التالية نقدم بعض الآراء المتعلقة بتعليم اللغة العربية فى كل من الولايات المتحدة وانجلترا .

بعض العلماء الذين شغلوا أنفسهم بتعليم اللغة العربية استمروا فى الاتجاه التقليدى المتمثل فى دراسة " اللهجات المحلية ، وهؤلاء العلماء استخدموا وسائل وصفية حديثة فى تناول اللهجات العربية المحلية ، بل إن بعضهم ألف الكتب فى تعليم هذه اللهجات . (٦١ : ٣)

ولأن العاميات العربية نالت معظم الاهتمام فى تعليم اللغة العربية ، فإننا نجد كثيراً من الكتب ، والمقالات المكتوبة حول هذا الموضوع . مثلاً كتب رايس، وسعيد كتابا ليقدما لنا ما أسمياه ، مقدمة عامة عن " العربية المتكلمة " فى فلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، وهذه العربية تسمى عموما " العربية الشرقية " Eastern Arabic (٨٠ : ٥).

وبصفة عامة ، فإن العربية التى قدمت ، ووصفت هى لغة الحياة اليومية ، ولا شك فى أن معهد شملان بلبنان ذلك المعهد الذى أقامته انجلترا – قد لعب دوراً مهماً فى دراسة العامية العربية للأقاليم المختلفة ، وفى تحليل لهجاتها بهدف تدريسها للأجانب .

وفى الحقيقة ، فإن نقدنا ليس موجها إلى اللغات العامية نفسها ، بل موجها إلى الأهمية المبالغ فيها والمعطاة للهجات المحلية . ومن المعروف أن اللهجات المحلية لا تمثل بأى حال من الأحوال اللغة الرسمية أو اللغة القومية لأى بلد من البلاد . والسؤال الملح فى هذه النقطة هو : لماذا لا يوجه التعليم فى اللغة العربية للأجانب إلى الفصحى كما هى الحال فى لغات مثل الإنجليزية والفرنسية؟ .

وبالنسبة للطرق المستخدمة فى تعليم العربية كلغة أجنبية ، نجد أن هناك تركيزاً على الأنماط اللغوية ، وعلى المبادئ الصرفية ، وعلى الحفظ ، والترديد ، ويكفى أن نشير إلى الكتابين التاليين كمثال على هذا الاتجاه فى تقديم اللغة العربية للأجانب .

1-The M.E.C.A.S. Grammar of Modern Literary Arabic .

2- Rice frank and Majed Said. Eastern Arabic.

وهنا نطرح السؤالين التاليين : لماذا التأكيد المتزايد على القواعد ؟ ولماذا هذا النقص الواضح فى التدريب على مهارات اللغة ؟ ولعله من المفيد أن نسوق ما ذكره " جريس " فى دراسة الدكتوراه " لقد أرسل استفتاء إلى عدة معاهد فى أماكن مختلفة بالولايات المتحدة وكان الهدف من إرسال هذا الاستفتاء هو جمع المعلومات المتعلقة بتعليم اللغة العربية كلغة أجنبية ، وكيفية تقديمها إلى المتعلم وفى ضوء الإجابات عن هذا الاستفتاء وجد " جريس " الملاحظات العامة الآتية :-

١- أن هناك عدم رضا عن الكتب المقررة الموجودة .

٢- أن العاميات التى تعلم بعيدة عن الأشكال الأدبية للغة .

٣- هناك نقص واضح فى صلات العناصر المقدمة فى مستوى دراسى واحد .

٤- وأن الهدف الحديث لتعليم اللغة العربية هو قراءة الأدب المعاصر ، والصحف والمجلات .

٥- وليس هناك طريقة خاصة تستخدم فى التعليم ، وليس هناك أكثر من التوصية بالاشتراك الإيجابى للطلبة ، والإفادة من المعامل اللغوية ومن التسهيلات التى تقدمها . (٥٧ : ١٣)

وعلى أية حال ، فإنه - من وجهة نظرنا - تحتاج اللغة العربية إلى كثير من البحوث العلمية التى تعالج مشكلات منهج تعليم هذه اللغة للأجانب . والمنهج يشمل الأهداف ، والمحتوى ، والطرق ، ووسائل التقويم وكل عنصر من هذه العناصر يحتاج إلى بحوث ودراسات متتالية .

* * *